بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد :

فإن نشر الأمن العام واستتبابه فى البلاد غاية كل حكومة رشيدة وضالة الافراد التى ينشدونها ليكونوا آمنين على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وحتى لا يكون الأطمئنان عليها شغلهم الشاغل لهم عن كل غرض آخر فتتعطل الاعمال ويقف دولاب الحركة فى البلاد

مسألة الأمن العام مرتبطة فى كل أمة بأحوالها الاقتصادية والاخلاقية والسياسية بل والدينية فكل هذه عوامل تفعل فعلها وتؤثر فيها

فأسباب اضطراب الأمن واختلاله إذاً أسباب مركبة ليس من موضوع بحثنا أن نتعرض لها جميعها وإنما نكتفى هنا بذكر سبب من أكبر الاسباب وباعث من أعظم البواعث التى تشجع الجناة على البغى والعدوان والاسترسال فى الأجرام

هذا السبب هو فرار الجانى وعدم الاهتداء اليه أو خروجه من المحاكمة ظافرا منصورا فإن الاشقياء باقترافهم الجرائم إنما يشهرون حربا

على الهيئة الاجتماعية فى وجه حفظة الامن والقائمين بتحقيق الدعاوى الجنائية فإذا عجز هؤلاء عن صد غارتهم والتغلب عليهم ولم يقووا على كشف آثارهم والقبض عليهم ازدادوا جرأة واستخفافا بهم حيث أنسوا منهم الضعف والعجز عن منازلتهم

لذلك كان من أول مايجب على رجال الحفظ والقائمين بالتحقيق الجنائى وبعبارة أشمل كل الأشخاص الذين تقضى عليهم مناصبهم بأن تكون لهم علاقة واحتكاك بالمجرمين أن يدرسوا الأسباب التى تحدوبهم الى ارتكاب الجرائم ويبحثوا بحثا ضافيا فى خطرات قلوب طائفة الجناة وهواجس نفوسهم ويتبينوا أحسن الطرق لمراقبتهم وكشف أسرار جرائمهم ويقفوا على طبائعهم وأحوالهم النفسية وأساليبهم فى الأجرام فقد أصبحوا يرتكبون الجرائم بطرق فنية عامية فلم يكن يسمع فى الزمن الماضى أن اللص يستعمل الكلورفورم لتنويم من يريد أن يمد يده إلى جيوبهم وهم جلوس فى عربات السكة الحديدية حتى إذا استرخت أجفانهم وغطوا فى نومهم قام بمهمته كما يجب وهو مطمئن رابط الجأش وفى بعض البلدان الاجنبية نجد لصوص الفنادق من الطرارين أو فيرانها كما يسميهم الافرنج يدخل أحدهم أنبوبة الكلورفورم من أسفل باب الغرفة حتى إذا تحقق من استغراق من فيها فى النوم سطا سطوته واحتوى مكنون جيوبهم وحقائبهم غير مروع

نبغ المجرمون فى الحيل وتفننوا فى إخفاء معالم الجرائم وطرق التضليل فلابد لحفظة الامن العام ومن لهم يد فى تحقيق الجرائم أن يحصلوا على درجة فى المعلومات أرقى وأعلى من درجة من يطاردونهم إذ لا يليق بهم

أن يكلوا اكتشاف الجرائم ومعرفة الفاعلين لها إلى مجرد الاتفاقات والمصادفات بل يجب عليهم أن يعملوا على ذلك بطرق علمية حتى يتفوقوا عليهم وإلا طم سيلهم وعجزوا عن تعقبهم والوقوف على آثارهم

فليست سعة المعلومات القضائية بكافية لان تؤهل المحقق للقيام بمهمة التحقيق قياماً محمود الاثر وإنما هى الخبرة والتجارب وممارسة التحقيق عملا وزمناً طويلا والوقوف على الطرق والوسائل العلمية والفنية التى يستطيع بها أن ينتصر على الجناة ويتغلب عليهم

وقد فطن لذلك أولو الامر عندنا ولذلك نرى الشبان الذين يلتحقون بالنيابات رغماً عما هم عليه من سعة العلم بالقانون يظل الواحد منهم سنة بيضاء لا يباشر تحقيقاً ولا عملا من أعماله اللهم إلا المرافعة فى الدعاوى وقراءة محاضر التحقيق وعرض نتيجة بحثه على رؤسائه

ولكن مما يؤسف له أنه قلما يتاح لهم الحضور مع محقق يباشر استجواب متهم أو سماع أقوال شاهد أو يعاين محل واقعة حتى إذا ما كلفوا يوما ما باجراء التحقيق ومكافحة الجناة وجها لوجه ومنازلتهم أمكنهم أن يتغلبوا عليهم ويفضحوا تضليلاتهم وأباطيلهم

أما ضباط البوليس ورجاله وهم أول من ينتقل الى محل الواقعة عند العلم بوقوع جريمة فعلى مالهم من الحنكة والدربة والتمرن على أعمال التحقيق يتوقف مصير القضية فمن أول واجباتهم جمع الادلة والاستعلامات الموصلة للتحقيق والدعوى والمحافظة على حالة المكان التى تركه عليها الجانى وحفظ ما يمكن أن يكون به من الآثار الدالة عليه كأثار الاقدام العارية أو

المحتذية وبصمات الاصابع والبقع الدموية وغيرها

هـذه الاثار وغيرها تحفظ بطرق علمية فنية مخصوصة فلا بد من ترشيحهم بها ترشيحا يهيئهم لاداء واجبهم على الوجه الاكمل والا كانوا أكبر عوامل ضياع الجريمة

لذلك نرى المشتغلين بالمسائل الجنائية والبحث فى الجانى والجناية ينصحون بوجوب تدريس التحقيق الجنائى العملى لتكوين المحققين الذين يسيرون فى عملهم على طريق فنى وعلمى وقد انتشر هـذا الرأى وأصبح معمولا به فى أكثر أمهات المدن فى البلدان الاجنبية ففى باريس ولوزان وفينا وروما وبروكسل يلقى على طلبة القانون ورجال البوليس بل ورجال النيابات والقضاء محاضرات فيه يقوم بها علماء من ذوى الخبرة والكفاءة التامـة كبرتيليون وريس وهانس جروس وأوتولنجى والفردونيسفورو وغيرهم من كبار العلماء الجنائيين الطبيين

أما فى مصر فانه لم يكن قبل بضع سنين من يعرف عن التحقيق الجنائى العلمى الا بعض موظفى قلم تحقيق الشخصيـة ولكنهم قلما كانوا ينجحون فى اقناع رجال النيابات والقضاء بصحة رأيهم ولا سيما فى مسائل آثار الاقدام وبصمات الاصابع والآثار الخفية حتى أن منهم من لا يزال يعتبر البحث فى هذه المسائل حديث خرافة وذلك يرجع لسببين أحدهما له علاقة بأولئك الموظفين الفنيين والثانى يتعلق برجال النيابات والقضاء فانهم لم يتلقوا أسوة بزملائهم فى البلدان الاجنبية دروسا فى المباحث الجنائية العملية والعلمية والفنية

فلعل نظارة الحقانية وقد تحول اليها الاشراف على مدرسة الحقوق الخديوية تعمل على تقرير تدريس هذا الفن لطلبتها ولو على طريق القاء المحاضرات فتكون بذلك قد حذت حذو نظارة الداخلية وعملت بسنتها فانها تنوى أن تنشىء قسما فنيا أعدت له المعدات الاولى فأرسلت الى بعض الحواضر فى أوربا أربعة من خريجى مدرسة الحقوق الخديوية لتلقى هذا الفن على رجاله وتعرف نظام الضبط هناك وقد عاد الينا منهم الى الآن ثلاثة نرجو الله أن ينفع بهم البلاد

لم تقف عناية نظارة الداخلية بهذا الفن عند ذلك الحد بل قررت تدريسه لطلبة مدرسة البوليس والادارة وعهدت به الى كاتب هذه السطور ولم أكن تلقيته عن أحد فكانت الوظيفة شاقة والمسئولية كبيرة وكيف لا يكون العمل شاقا وأنا لم أجد مؤلفا واحدا فى اللغة العربية عن هذا الفن فلذلك عولت على الرجوع الى مؤلفات الافرنج للاستعانة بها فوجدتها والحق يقال طافحة بالمباحث الجليلة الفائدة العظيمة العائدة

رجعت اليها وأخذت عنها فكنت كمن يغوص البحر فى طلب اللآلىء ولكن عملى لم يقف عند حد النقل عن كتب الغير فان ما وضعته وضعاً وانشأته إنشاءً لايقل قيمة وأهمية عما أخذته عنها

ولم اشأ أن انقل عن هذه الكتب تلك الحيل الشيطانية التى نبغ فيها المجرمون الاجانب والتى لا تزال من حسن حظ مصر والمصريين مجهولة منهم حتى لا اكون اسأت من حيث أردت الخير

كلفت بتدريس هذه المادة فى اكتوبر سنة ١٩٠٩ ومن ذلك الحين وأنا أجمع المعلومات وأرجع الى المؤلفات ولا سيما ما ظهر منها حديثاً وأعمل الفكر لا خرج لقراء العربية كتاباً لا اعرف الى الآن أحداً من ابنائها كتب فى موضوعه او نسج على منواله (١)

وقد أردت أن يكون كتاباً انتقادياً عملياً وفنياً فى آن واحد فان المطلع عليه يقرأ من بين سطوره الانتقاد على أعمال بعض رجال الضبط والقائمين بالتحقيق الذين لم أسمهم ولم أشر اليهم إشارة تصريح أو تلميح ولكنه انتقاد حق يطيب للنفس العادلة سماعه لا يقصد به تشهير ولا تحقير

ولم أرد أن اشرح فيه النظريات القانونية والمسائل الخلافية فذلك خارج بالمرة عن موضوعه غير أنى اضطررت أن أمس بعض هذه النظريات مساً خفيفاً اتماماً للبحث وزيادة فى البيان

وقد أكثرت فيه من ايراد الأمثلة المختلفة المختارة من أشهر الحوادث الجنائية التى وقعت فى مصر وفى بعض البلدان الاجنبية والتى لعب فيها المحققون ورجال الضبط دورا يحمدون عليه

وزيادة فى الفائدة ورغبة منى فى أن يكون فى مقدور كل إنسان

---

(١) وضع أخيرا حضرة عزيز افندى حبشى الموظف بمصلحة السكة الحديدية كتابا فى اجراء التحقيق الجنائى وقد قال فى مقدمته أنه أخذ عن مذكرة أحد طلبة مدرسة البوليس موضوع أثار الاقدام العارية والمحتذية وقد تصفحته فوجدت أن حضرته لم يقف عند هذا الحد بل أخذ عنها جملة مقطوعات شغلت جزءاً كبيرا من كتابه لم يشر اليها مع ما وقع فيما نقله من التحريف اللفظى والمعنوى ولذلك لزم التنبيه

إدراك ماجاء فيه من المسائل الفنية ولا سيما ما كان منها خاصا بآثار الأقدام وبصمات الاصابع والصورة الناطقة أو التشبيه الوصفي أشبعت الكلام فيها مع عرض أشكالها وصورها على القراء

وقد ختمته ببحث فى الشخصية وتحقيقها والصور الفوتوغرافية وقراءتها وكيفية مقارنتها بعضها ببعض ومقارنتها بالاشخاص وعرضت على أولى الأمر فى مواضع مختلفة وبمناسبات مخصوصة جملة اقتراحات لعلها تقع عندهم موقع الرضا والقبول — هذا —

وأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفع به والا يجعله من سقط المتاع فهو حسبي وبه التوفيق والعون

محمود حسن
مدرس بمدرسة البوليس
والادارة